



عباقرة المسلمين في الطب للأطفال

أبو القاسم الزهراوي





تأليف
فوزي خضر

المادة العلمية
نظير محمد عبد الجابر

رسوم
ماهر عبد القادر





عباقرة المسلمين في الطب للأطفال

أبو القاسم الزهراوي





تأليف
فوزي خضر

رسوم
ماهر عبد القادر

إشراف وتقديم
نظير محمد الجابر

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد

العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة

تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيداع : ٩٩/٨٣١٠

الترقيم الدولى : 8 - 28 - 5819 - 977

رسوم وإخراج فنى: ماهر عبد القادر

خطوط : مصطفى عمرى

مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَارَ الْفَتَى أَبُو الْقَاسِمِ خَلْفَ ابنِ عَبَّاسٍ الزَّهْرَاوِىُّ فى حَدِيقَةِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ ، الْقَرِيبَةِ مِنْ قُرْطُبَةَ عَاصِمَةُ بِلادِ الأَنْدَلُسِ (التى هى أسبانيا الآن) وَنَظَرَ إِلَى الأَشْجَارِ والأَزهارِ والطُّيورِ ، يَتَأَمَّلُهَا وهو يَتَفَكَّرُ فى قُدْرَةِ الله - عزَّ وجلَّ - فى خَلْقِ كلِّ ما فى الْحَيَاةِ ، كان عُمْرُ الزَّهْرَاوِىِّ آنَذَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً ، فَهُوَ مِنْ مَوَالِيدِ سنة (٣٢٤) ثلاثمائة وأربع وعشرين هجرية الموافقة (٩٣٦) ميلادية، وكان يَشْغَلُهُ كُلُّ ما يَرَاهُ ،



تَعَجَّبَ من أشْكَالِ الأشجارِ الْمُخْتلِفَةِ ، ومن أَلْوَانِ الأَزْهارِ المتنوِّعَةِ ، ومن تَغْرِيدِ الطُّيُورِ الْجَمِيلَةِ .

لِكنَّ تفكيرَهُ عادَ به سريعاً إلى المَوْضُوعِ الرَّئيسيِّ الذى يَشْغَلُ بالَهُ ، ألا وَهُوَ جِسْمُ الإنسانِ ، وَرَأى أنَّ قُدْرَةَ الله سبحانه وتعالى - تَتَجلَّى فى ذلِكَ الْجِسْمِ الْعجيبِ .

إنَّ فيه أشْياءَ مُذْهِلَةً حقاً ... الْعينُ التى ترَى ، والأُذُنُ التى تَسْمعُ ، وَالأنفُ الذى يَشُمُّ ، والْحلْقُ والْمعِدةُ ، الْبطْنُ وَالظَّهْرُ ، وَالرَّأْسُ ، والْيدَانِ والْقدَمانِ ، إنَّ كُلَّ عُضْوٍ من




٥



أعضاءِ جسْمِ الإنسانِ يتكوَّنُ
من جُزَيْئَاتٍ صغيرةٍ كثيرةٍ ،
تُعينُهُ على آداءِ عَمَلِه والقِيامِ
بوَظيفَتِهِ .

كَبُرَ الزَّهْراوىُّ . . . ودَرَسَ
الطبَّ والصَّيْدَلَةَ ، وعَمِلَ فى
المَجالِ الذى يهتمُّ به ، وهُوَ
جسْمُ الإنسانِ ، وأرَادَ أنْ
يَعْرِفَ خَبايا هذا الجِسْمِ
العَجيبِ فدَرَسَ التَّشْرِيحَ
دراسَةً مُتَعَمِّقَةً ، وانْتَقَلَ إلى
قُرْطُبَةَ العاصمةَ حيثُ عَمِلَ
فى المستشفى الكَبيرِ هُناكَ ،
ورَأى حالاتٍ مَرَضِيَّةً مُتَنَوِّعَةً ،
ووَجَدَ أنَّ بَعْضَها يَحتاجُ إلى
إجْراءِ عمليَّاتٍ جِراحيَّةٍ ،
حتى يتمَّ الشفاءُ بإذن الله .









حِينَذَاكَ بَدَأَ اهْتِمَامُ الزَّهْرَاوِىِّ بِالْجِرَاحَةِ ، فَدَرَسَ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِى أَجْرَاهَا الأَطِبَاءُ قَبْلَهُ عَلى مَرِّ الْعُصُورِ ، فَوَجَدَ أَنَّهَا كَانَت تُجْرَى بِطَرِيقَةٍ بِدَائِيَّةٍ ، تُعَرِّضُ الْمَرِيضَ لِكَثِيرٍ مِنَ الآلام وَكَثِيرٍ مِن الْمُضَاعَفَاتِ الَّتِى تُؤَدِّى إِلَى فَشَلِهَا فِى مُعْظَمِ الْحَالاتِ ، وَوَجَدَ أَنَّ الأَطِبَّاءَ كَانُوا فِى حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ مِن الآلاتِ وَالأَدَوَاتِ الْجِرَاحِيَّةِ ، لِذَلِكَ قَرَّرَ الزَّهْرَاوِىُّ أَمْرَيْنِ ، أَوَّلُهُمَا : أَنْ يَجْتَهِدَ فِى اخْتِرَاعِ آلاتٍ جِرَاحِيَّةٍ تُعِينُ الطَّبِيبَ عَلَى إِجْرَاءِ الْعَمَلِيَّاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ،





وثانيهما : أَنْ يُؤَلِّفَ كِتاباً يَشْتَمِلُ على جُزْءٍ نَظَرِىٍّ فى الطبِّ ، وعلى جُزْءٍ آخرَ عن الجِراحةِ التى كانوا يُسَمُّونَها (عمل اليد) ، يَذْكُرُ فيه العملِيّاتِ الجراحيَّةَ التى يَنوِى إجْراءَها .

ورَأى الزهراوىُّ أنَّ أىَّ طَبيبٍ بارِعٍ يَسْتطيعُ أنْ يَصِفَ دَواءً لِمَريضٍ مَّا ، ولَكِنْ هُنَاكَ حَالاتٌ لا يَصْلُحُ فيها الدَّواءُ ، وإنّما تَسْتَلْزِمُ أنْ يَقُومَ الطبيبُ بِفَتْحِ بَطْنِ الْمَرِيضِ ، مِثْلَ الْخُرَّاجِ الَّذى يُصيبُ الْكَبِدَ ، وَالْحَصَى الذى يَتَكَوَّنُ فى الْمَثانَةِ وَغَيْرِ ذلكَ من الإصاباتِ الْمُختلفةِ ، لهذا قَرَّرَ الزهراوىُّ أَنْ يَجتَهِدَ فى اقْتِحامِ مَجَالِ الْجِراحَةِ ، مُتَسَلِّحاً بالعلمِ الوافِرِ والدِّقَّةِ المتناهيةِ والرَّغْبَةِ الجارفَةِ فى التخفيفِ عن المرضَى .

وبَدَأَتْ سِلْسِلَةٌ من العمليات الْجراحيَّةِ ، أصابَتِ الأطبَّاءَ بِذُهُولٍ من دِقَّةِ الزَّهراوىِّ فى إجْراءِ كُلِّ عمليَّةٍ تَصَدَّى لإجْرائِها، وَعَمَّتِ الفرحَةُ قُلُوبَ المرضَى وقُلُوبَ أهْلِيهِمْ ، فقد خَفَّفَ مُعاناتِهِم وآلامَهُم .




١١





عَادَ الزهراوىُّ إلى مدينةِ الزَّهْراءِ ، فعَمِلَ فى المستشفى الموجودِ بها ، وسَعَى النَّاسُ إليه من كافَّةِ الأرجاءِ ، إذِ امْتَدَّتْ شُهْرَتُهُ إلى البلادِ المختلفةِ ، وجاء طلابُ العلمِ من بُلْدَانِ الأنْدَلُسِ والمغربِ لِيكُونوا تلاميذاً له ، كما جاء إليه طلابُ العلم من أُوروبا ، فقد كان أكْبَرَ الجراحِينَ فى عَصْرِهِ ، وكان فُقَهاءُ الأندلُسِ يَقْبَلُونَ الجراحةَ بتَحَفُّظ شديدٍ ، بَيْنَما كان الأوروبيونَ يُحرِّمونَ إجراءِ العملياتِ الجراحيَّةِ ، وكان الزهراوىُّ صاحبَ المكانةِ العُلْيَا فى هذا المجالِ فى العالمِ بِأسْرِهِ شَرْقِهِ وغَرْبِهِ .





ومع ذلك لم يكن يلجأ إلى الجراحة إلا إذا عجزت العقاقير الطبية عن العلاج ، وكان الزهراوى يحذر الأطباء من إجراء العمليات الجراحية ، إلا إذا كانوا عارفين بصغائر الأمور وكبائرها فى استعمال الآلات الجراحية ، مع علمهم بالتشريح، لأن الخطأ فى الجراحة يصعب علاجه ، وأحياناً يستحيل .

وقد طور الزهراوى الآلات الجراحية المصنوعة من الحديد والذهب والفضة ، واخترع آلات لم تزل مستخدمة إلى يومنا هذا ، لم يزد عليها العلماء شيئاً مثل خافض اللسان ، وقد استعمل خيوط الحرير للربط فى العمليات الجراحية ، وتحدد (د . زيجريد هونكة) الألمانية إنجازات الزهراوى فى كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» فتقول :

درس الزهراوى تشوهات الفم والفك ، واستئصال الأورام الليفية فى الأغشية المخاطية ، ونجح فى عملية شق القصبة الهوائية - التى تنقذ حياة مريض (الدفتيريا) ووفق فى إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، وهو فتح علمى كبير ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسى الشهير (بارى) ، فى حين



أنَّ الزهراوىَّ حققَه وعَلمهُ قبل ذلك بحوالى (٦٠٠) سنة ، كما أنَهُ علَّم تلاميذهُ كيْفيَةَ تخيط الْجُرُوح بشكْلٍ داخلىٍّ ، لا يَتْرُكُ شيئاً مرئياً منها ، وعلمهم كيْفيَةَ التَّخيط بإبْرتَين وخيط واحدٍ مُثَبَّتٍ بهما ، واستَعمل الخيوطَ المُستمدةَ من أمعاء القططِ فى جراحات أمعاء الإنسان ، وقد أوْصَى فى كلِّ العمليَّات الجراحيَّة فى الجزء الأسفَلِ من الإنسان أنْ يُرفع الحَوْضَ والأرْجلَ قبل كل شىء ، وهذه طريقةٌ اقْتَبستْهَا أوروبا مباشرةً عن الزهراوىِّ الجرَّاح العربىِّ ، ولَمْ تزلْ مُسْتَخْدَمةً حتى يومِنا هذا ، وعُرِفَتْ باسم الجراح الألمانى القدير (لينبورج) دون أن تَذْكُرَ أفضالَ الجرَّاح العربىِّ ، وعن الزهراوىِّ أيضاً أخذْنا طريقةَ ترْكِ فتحة فى رباطِ الْجبْسِ فى الكُسُورِ المفتوحةَ ، وأمدَّ الجرَّاحينَ وأطبَّاءَ العيونِ والأسنانِ الأوروبيين بالآلات اللازمةِ للعمليات ، بواسطةِ الرُّسومِ الجديدةِ التى وَصَفَهَا فى كتابه الذى أسْماهُ : " التَّصريفُ لِمَنْ عجزَ عن التَّأليفِ " .

هكذا يَنظُرُ العلماءُ العالَمِيُّونَ إلى الزهراوىِّ عبْقَرِىِّ الجراحَة، الذى أصبح أستاذاً لعلماء أوروبا - من خلال كتابه - لمدة خمْسةِ قُرونٍ ، كان أثناءَها هو الكتابُ المعتمدُ فى مجالِ



الجراحة ، لسهُولة أسلوبه ، وكثرة رسومِه للآلاتِ التى تُسْتَخْدَمُ فى العمليَّاتِ الجراحية .

من الأمورِ المُدْهِشَة أنَّ أبا القاسمِ الزهراوىَّ قد أجْرَى عمليات فى مجالِ جِراحَةِ التجميلِ ، التى يَعْتَقِدُ كَثيرٌ من النَّاس أنَّها من العملياتِ الحديثة ، وإنْ دَلَّ هذا على شيءٍ فإنما يَدُلُّ على عَبْقَرِيَّةِ الزهراوىِّ ، وأنه كان سابقاً لعصْرِه ، وكل هذه الإنجازاتِ العظيمة وغيرِها ، ضَمَّها كتابه « التَّصريفُ لمن عَجَزَ عن التأليفِ » الذى يَقَعُ فى ثلاثينَ جُزءاً ، وتَمَّتْ تَرْجَمَتُهُ إلى كثيرٍ من اللغاتِ .

لقد كان الزهراوىُّ صاحبَ فِكْرٍ جَدِيدٍ ، فهو الذى جَعَلَ من الجِراحة فرعاً طبياً ذا مكَانَةٍ سامِيةٍ بينَ فُرُوعِ الطبِ ، وهو واضعُ الأُسُسِ الحديثة لهذا العلمِ، لذلك أطْلَقوا عليه فى العلمِ كلِّه لَقَبَ : (أبُو الجراحةِ) ، ولَمْ يكُنْ بِاسْتِطَاعَةِ الزهراوىِّ تحقيقَ كلِّ هذه الإنجازاتِ دُون اجتهادٍ وصبرٍ وإقدامٍ ، وإيمانٍ عميقٍ بِقُدْرَةِ الله - عزَّ وجلَّ - فى خَلْقِه ، إذْ كان دائمَ التفكيرِ فى خَلْقِ الله سبحانه وتعالى .

عباقرة المسلمين في الطب

١ - ابن سينا
٢ - أبو بكر الرازى
٣ - أبو القاسم الزهراوى
٤ - ابن النفيس
٥ - الأهوازى
٦ - عبد اللطيف البغدادى
٧ - أبو مروان بن زهر
٨ - أبو بكر الحفيد
٩ - ابن رضوان المـ
١٠ - ابن أبى أصيـ





طباعة - نشر - توزيع
٢٣ شارع سكة الحربية - ناهيا - امبابة - جيزة ت: ٢٠٢٠٥٢٢٩٩